الثقافي
الطريق
Tareeq Culture

من «أمواج» عبد الله إبراهيم إلى «احتجاج» علي سعدون

كتابان مهمان جديدان، صدرا مؤخراً عن الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق. الاول "امواج" سيرة ذاتية للناقد د. عبد الله ابراهيم تناول فيه المسيرة المعرفية العميقة التي خاضها في مسيرة حياته. وتعد "امواج" من ابرز التجارب النقدية ثراء وقدرة على التواصل مع متغيرات الزمن.
الثاني/ "الاحتجاج والهويات والايديولوجيا" دراسات ومقالات في الشعر العراقي/ للناقد الاستاذ علي سعدون. الكتاب يقدم تفاصيل عميقة لمعطيات وتحولات الشعر في العراق.. ويقدم بانوراما نقدية لابرز الاسماء الشعرية، موضحاً ابعادها الشعرية ومسيرتها في اغناء المشهد الشعري العراقي الجديد.
المؤلف رصد عشرات الاسماء الشعرية، راصداً لها، محللاً قصائدها من زوايا مختلفة.

كامل شياع.. اختار الزمان الخطأ في تحقيق الحلم!

جمال العتّابي

الاستذكار ليس سوى ماضٍ يُستعاد، لكنه لا يكون استعادةً للماضي أحياناً، بقدر ما هو استدعاءٌ لجرحٍ لم يندمل. ثمانية عشر عاماً مرّت على اغتيال المثقف العراقي كامل شياع، الذي غاب برصاصٍ غادر في الثالث والعشرين من آب عام ٢٠٠٨، لكن غيابه لم يتحول إلى صفحةٍ مطوية في كتاب الذاكرة. ما زال اسمه حاضراً، لا بوصفه ذكرى شخصية فحسب، وإنما بوصفه سؤالاً مفتوحاً عن مصير المثقف في بلدٍ ظلّ الرصاص فيه، زمناً طويلاً، أعلى من صوت الكتاب.
ربما خفتت الصدمة الأولى، وربما اعتدنا، للأسف، على أخبار الموت حتى صار بعضها يمرّ في الذاكرة مثل خبرٍ عابر. لكن أثر الجريمة بقي قائماً. فمقتل كامل شياع لم يكن فقداناً لإنسانٍ وحسب، بل كان اعتداءً على معنى آخر: معنى أن يكون المثقف صاحب موقف، وأن تكون الثقافة مجالاً للحوار والاختلاف والحرية، لا ساحةً للوصاية والإخضاع.
كان كامل من اولئك الذين تقاسمتهم المنافي بعد أن عجز الوطن من احتوائهم في حقبة مزّقت الديكتاتورية أوصال المجتمع، وانتهكت الحقوق والحريات، وبات المنفى وسيلة القادرين على النجاة، لكن العودة المحمّلة بالأحلام إلى الوطن لم يتسن لها أن تؤسّس لوجودها الجديد.

هل كان كامل شياع مستهدفاً لأنه مثقف؟

ربما لا تكمن الإجابة في تفكيره، ولا موقعه في وزارة الثقافة وحدها، وإنما في ما كان يمثله. فالمثقف الحقيقي، حين يرفض أن يتحول إلى تابع، يصبح مصدر قلق لكل سلطة تريد من الثقافة أن تكون صدىً لها. الثقافة التي لا تسأل، ولا تعترض، ولا تكشف التناقضات، يمكن تدجينها بسهولة. أما الثقافة التي تحتفظ بمسافتها النقدية من السلطة، أياً كانت السلطة، فإنها تظل عصيةً على الترويض.
نحن نعرف من قتل كامل، ونعرف لماذا كان موته مكسباً لمن يخاف من صوت الثقافة. وربما لا نحتاج اليوم إلى إعادة سرد تفاصيل الجريمة بقدر ما نحتاج إلى تأمل ما تركته وراءها. فالقاتل لا يقتل الجسد وحده.
لكن المفارقة أن الرصاص يستطيع أن يسكت الإنسان، ولا يستطيع أن يسكت السؤال.
هنا تكمن أهمية استذكار كامل شياع اليوم. لنذكّر أنفسنا بأن الثقافة العراقية لم تتحرر تماماً من أحابيل السياسة. ما زالت السلطة، بأشكالها المختلفة، ترغب في ثقافةٍ موالية، وفي مثقفٍ يمكن استدعاؤه حين تحتاج إلى صوته، وتصفيقه، وشرعنته. وفي المقابل، ما زالت الثقافة نفسها تعاني من إرثٍ طويل جعل بعض المثقفين يخلطون بين الدور الثقافي والدور السياسي، حتى بات من الصعب أحياناً الفصل بين المثقف الذي ينحاز إلى قناعاته، والمثقف الذي يتحول إلى أداة في يد جهةٍ ما.
ليست المشكلة في أن يكون للمثقف موقف سياسي، المشكلة تبدأ حين تتنازل الثقافة عن استقلالها، ويصبح المثقف تابعاً لمشروعٍ سياسي لا يرى في الثقافة سوى وظيفةٍ أو واجهة. عندها تفقد الثقافة جوهرها النقدي، ويتحول المثقف من ضميرٍ يسائل السلطة إلى موظفٍ في خطابها.

كان كامل شياع ينتمي إلى ذلك النوع من المثقفين الذين رأوا في الثقافة فعلاً مدنياً، وفي الحرية شرطاً لوجود المجتمع السليم. مشكلته، وربما مأثرته أنه مزج بين المثقف المحايد العقلاني وموضوعيته النادرة وبين المثقف العضوي، كان يخطط برؤية مستقبلية منفتحة على آفاق معرفية وتجارب فكرية جديدة.
بعد ثمانية عشر عاماً، ما زالت أصوات الرصاص عالية في ذاكرتنا، وما زلنا نخشى غدرها. وربما لهذا لم نستطع أن نغلق ملف كامل شياع. فحين لا تنتهي الأسباب التي صنعت الجريمة، لا تنتهي الجريمة نفسها. وحين تبقى الثقافة محاصرةً بين سطوة السياسة وخوف العنف وإغراء السلطة، فإن سؤال كامل شياع يظل قائماً:

ماذا فعلنا كي لا تتكرر الجريمة؟

إن الوفاء لكامل شياع ، أن نخلق مناخاً لا يخاف فيه المثقف من أفكاره، ها هو واحد من ضحايا الحلم الثقافي والإنساني يسلمنا لوحشة رحيله، وخسارتنا الفادحة انه اختار الزمان الخطأ لتحقيق الحلم . لأن الأرض ما عادت تتسع لنزاهة الحالمين!
في الثالث والعشرين من آب، نستذكر موت كامل شياع مع امنيات متواضعة: أن لا يكون فيها الرصاص هو اللغة الأخيرة. والفكرة التي عاش من أجلها تظل قادرةً على النجاة.

التنوير.. وغياب مسؤوليات التأسيس

علي حسن الفواز

قد يبدو سؤال التنوير مثيرا للجدل، واحيانا للسخرية، فوسط عالم يفقد مركزياته وسردياته، يتحول هذا السؤال الى اشكالية تاريخية ومعرفية، والى موقفٍ مكشوفٍ على كثير من التناقضات، لاسيما في النظر الى علاقة هذا التنوير بـ"العقل الثقافي" و"العقل السياسي" وبالفشل الذي تواجهه مؤسسات الدولة، وضعف بناه الداخلية، المعنية بالعلم والمعرفة والتعليم والتربية والاقتصاد والصحة والبيئة، وعلى النحو الذي يتحول الفشل المؤسسي الى فشل في ادارة السياسات..
العودة الى حديث التنوير، لا تعني من جانب آخر العودة الى سؤال عمانوئيل كانط "ما الأنوار" ولا الى سؤال تودوروف "ما التنوير" بقدر ماتعني مقاربة أزمة الإنسان المعاصر، الأنسان المحاصر بالفشل والعجز، والعالق بكثير من حبال "الخرافة" التي فقد معها وعيه بالعقل والمستقبل والنقد، وبمؤسسة "الدولة" وقوتها في ضبط النظام والقانون، وفي اثراء برامج ومشاريع التنمية والأمن الثقافي..
الحاجة الى التنوير اضحت قارّة، ليس لمواجهة "التظليم" و"التجهيل" الاجتماعي والثقافي والسياسي فحسب، بل لمواجهة سلسلة من "التعثّرات" اولها فشل المشاريع النهضوية والاصلاحية، وحتى الديمقراطية، وفشل نخبها السياسية، والفشل في تنظيم وتحديث البنى الادارية والخدماتية، فضلا عن الفشل في مواجهة احتكار السلطة والثروة، وصولا الى الضعف في مواجهة الجهل بوصفه الظاهرة الأكثر عمومية، والأكثر ضغطا في شعبويتها، وفي اعراضها الاجتماعية والسياسية والثقافية، وفي تعطيلها لفاعليات العقل والمنطق، وتقويض أية ممارسة نقدية، واجرائية للدفاع عن قيم العلم والمعرفة، ولأهمية القبول بقيم العدل والسلم الأهلي والتعدد والتنوع.
لقد اسهم الجهل كونه الضد النوعي للتنوير، في تكريس اعراض عطالة التنمية، وفي فرض مركزيات عشوائية لخطاب الخرافة، والسحر و"الوعي الزائف"، فضلا عن دوره في تكريس سياسات "العزل الثقافي" على مستوى المدرسة والشارع والمؤسسة والجامعة، او على مستوى الوعي بالحقوق العامة والخاصة، إذ تلعب هذه السياسات دورا مُشوّها في تقويض أية خيارات حقيقية للتقدّم، ولتطوير قدرات الاجتماع، في تمثيل فاعليات القوة الاجتماعية والسياسية، وفي صياغة سمات "الكتلة التاريخية" و"الرأسمال الرمزي" بوصفها مصادر مهمة في بناء المؤسسات الحاكمة، وفي صناعة المجال السيميائي الذي يُشرعِن قوة العقل في سياق مواجهته استحقاقات بناء الدولة، والنظام الحقوقي والمعرفي والتعليمي والاقتصادي، وعلى نحوٍ يمنح مشروع التنوير أفقا للإنوجاد والقبول والتداول، ولتسويغ آليات عمله في الاجتماع الثقافي، وفي مواجهة مظاهر الكراهية والتكفير والعزل واقصاء الآخر، فضلا عن دوره في تعزيز عمل المؤسسات المدنية، مقابل مواجهة عمل الجماعات ومركزيات الاستبداد، والتي تسوّغ خطابها العنفي، بوصفه خطابا شرعيا وصيانيا وتاريخيا.
خطاب التنوير هو الخيار القار للتعبير عن وعي الحاجات، وعن مراجعة معطيات الواقع العراقي، وتاريخ صراعاته العنفية والاجتماعية والطائفية والرعب الذي تركته الذاكرة الانقلابية في صناعة مراكز الرعب والاستبداد والجهل. من هنا ندرك خطورة الفقر التنويري، ورثاثة عمل المؤسسات والنُخب في التعاطي مع اسئلته واستحقاقاته، فبقدر العجز عن النظر الى غياب توصيف الدولة، وهويتها، وعطالة بناه التحتية، فإنّ الغياب سيكون مدعاة لنشوء نظام جماعوي- والى ايديولوجيا دوغمائية، تتكىء على أوهام عالقة بمركزية التاريخ، وبغواية خطابها الايهامي، والذي يسوّغ وجوده عبر سلطة تقوم بإحتكاره وتشييئه واستعماله، والى أدلجته عبر معايير تؤطر سياسات العنف والتحكّم والإخضاع.
القصور في عقلنة التنوير، اسهم في ايجاد برايغمات مشوهة، وعبر اليات تمثيلة، او هيمنات ذات مزاج شعبوي، فرضت نفسها عبر السلطة او عبر الجماعة، حيث يبدو وكأنه ممارسة متعسفة وسلبية، لا أثر لها في الواقع، ولا في العمل، فكلّ مايشاع هو تدوير للمركزيات، وللحاكميات، وعبر شعارات إيهامية وذات منحى إحيائي، او رمزي، يتغوّل فيها خطاب الجهل بالتاريخ، وبقيم التنوع والمشاركة، بعيدا عن أيّ استنهاض لقوة الفرد، وللعناية بدوافع قواه الاجتماعية والثقافية، وفي تجاوز عقده القديمة مع التاريخ والهوية، ومع جماعات الاستبداد والعنف والطائفية والعنصرية، والتي احتشد بها تاريخ "الدولة العراقية" عبر ظواهر العسكرة والانقلابات، وصعود المدّ الشعبوي والطائفي، والتي كرست وجود فاضح للمؤسسة المستبدة، وللعقل المُستبد في عنصريته وفي شوفينيته، والذي أسهم طوال أكثر من نصف قرن في قطع الطريق على أيّ تعاط حقيقي ونقدي مع اسئلة "الحداثة" والتقدم، والمدنية.

العراق والثقافة

مسيرة الإبداع العراقي في الجمهورية الأولى

عصام الياسري

منذ قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، اعتاد المؤرخون ووسائل الاعلام أن يستعرضوا آثارها السياسية والاقتصادية، وربما توقفوا عند بعض تحولاتها الاجتماعية. غير أن جانبا لا يقل أهمية، بل لعله الأكثر رسوخا في صناعة المستقبل، ظل خارج دائرة الاهتمام، وهو المشروع الثقافي والفني الذي تبنته الثورة بوصفه ركيزة لبناء العقل، وصيانة الذاكرة الوطنية، وترسيخ قيم النهضة والتنوير. فإذا تجاوزنا السجالات السياسية، واحتكمنا إلى الوقائع والمنجزات الموثقة، وجدنا أن ثورة ١٤ تموز أولت الثقافة والفنون عناية استثنائية لم يعرفها العراق من قبل، وجعلت من البعد الحضاري جزءا أصيلا من مشروع الدولة الحديثة، عبر مبادرات ومؤسسات وإنجازات تركت أثرا عميقا في الحياة الفكرية والإبداعية، وما زالت شواهدها حاضرة في الذاكرة الوطنية حتى اليوم.
لم يكن الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ مجرد حدث سياسي أنهى النظام الملكي، وأعلن قيام الجمهورية، بل كان لحظة مفصلية حملت معها مشروعا واسعا لإعادة بناء الدولة والمجتمع على أسس جديدة. وبينما انصرفت الدراسات إلى الجوانب السياسية والاقتصادية للثورة، بقي جانبها الثقافي والحضاري واحدا من أبرز وجوهها التي تستحق التأمل؛ فقد أدركت القيادة الجديدة أن بناء الإنسان لا تقل أهمية عن بناء المؤسسات، وأن الثقافة ليست ترفا، بل ركيزة من ركائز النهضة الوطنية.
شهدت السنوات التي أعقبت الثورة حراكا ثقافيا غير مسبوق، اتسم باتساع هامش حرية التعبير، وازدياد الاهتمام بالمثقف بوصفه شريكا في صناعة الوعي. فانتعشت الصحافة الثقافية، وتوسعت حركة النشر، وظهرت مجلات ومنابر فكرية أتاحت للأدباء والباحثين والفنانين التعبير عن رؤاهم، كما شهدت الجامعات والمؤسسات العلمية نموا ملحوظا انعكس على حركة التأليف والترجمة والبحث الأكاديمي.
وفي الأدب، برزت أسماء عراقية كبيرة استطاعت أن تجد فضاءً أرحب للإبداع، فازدهر الشعر الحديث، وتقدمت حركة القصة والرواية، وتنوعت الاتجاهات النقدية والفكرية. ولم يعد الأدب معزولا عن هموم المجتمع، بل أصبح مرآة للتحولات الاجتماعية والسياسية، ومنبرا للحلم بمجتمع أكثر عدالة وتقدم. كما شهدت المؤسسات الثقافية نشاطا لافتا في إقامة الندوات والملتقيات وتشجيع المواهب الشابة، مما أسهم في ترسيخ مكانة العراق بوصفه أحد أهم المراكز الثقافية في العالم العربي.
أما الحركة الفنية، فقد دخلت مرحلة جديدة من النضج والانتشار. ففي الفن التشكيلي، واصل الرواد العراقيون تأسيس مدرسة تمتزج فيها الحداثة بجذور الحضارات الرافدينية، فبرزت أعمال تستلهم سومر وبابل وآشور بروح معاصرة، وأسهمت الجمعيات الفنية والمعارض في تقديم الفن العراقي إلى المحافل العربية والدولية. وفي المسرح، اتسعت دائرة الإنتاج والعروض، وظهرت نصوص تعالج قضايا المجتمع بلغة فنية رفيعة، بينما شهدت الموسيقى والغناء العراقيين رعاية أكبر للمواهب والمؤسسات الفنية، مما أسهم في ترسيخ الهوية الموسيقية العراقية.
ولعل من أبرز الإنجازات الحضارية لتلك المرحلة ما يتعلق بالعناية بالتراث والآثار. فقد تنامى الوعي الرسمي بأن العراق ليس مجرد دولة حديثة، بل وريثٌ لأقدم الحضارات الإنسانية. ومن هذا المنطلق، حظيت أعمال التنقيب الأثري بدعم ملحوظ، وتوسعت البعثات الأثرية العراقية والأجنبية في الكشف عن مواقع حضارية جديدة، كما جرى الاهتمام بتطوير المتحف العراقي وتعزيز مقتنياته، والعمل على حفظ اللقى الأثرية وصيانتها وفق الأساليب العلمية المتاحة آنذاك.
ولم يقتصر الاهتمام على التنقيب، بل امتد إلى حماية المواقع الأثرية من التجاوز والإهمال، وتشجيع الدراسات التاريخية والآثارية، وإبراز الإرث الحضاري العراقي في المعارض والمنشورات، بما عزز حضور العراق في الوعي الثقافي العالمي بوصفه مهدا للحضارات الإنسانية الأولى. كما شهدت تلك المرحلة اهتماما بالتراث الشعبي بوصفه مكونا أصيلا من الهوية الوطنية، فبدأت جهودا أكثر تنظيما لجمع الحكايات الشعبية والأمثال والأغاني والفنون الفلكلورية، وتوثيقها بوصفها جزءا من الذاكرة الجمعية للشعب العراقي، وهو توجه أسهم في حماية جانب مهم من التراث غير المادي.
ومع أن عمر ثورة الرابع عشر من تموز كان قصيرا، فإن أثرها الثقافي تجاوز سنواتها الفعلية. فقد أرست تقاليد جديدة في دعم الثقافة الوطنية، ورسخت قناعة بأن الإبداع والفن والمعرفة عناصر أساسية في مشروع بناء الدولة الحديثة. كما أسهمت في تعزيز الوعي بقيمة الإرث الحضاري العراقي، بوصفه ثروة وطنية وإنسانية ينبغي صيانتها للأجيال المقبلة.
إن تقييم تلك التجربة ينبغي أن يتم بمنهج تاريخي متوازن، يميز بين الجدل السياسي الذي أحاط بها، وبين المنجزات الثقافية والحضارية التي تركت بصمتها في تاريخ العراق الحديث. فالثقافة، بخلاف السياسة، تمتلك قدرة أطول على البقاء، وما أُنجز في ميادين الأدب والفنون والآثار خلال تلك السنوات ظل جزءا من الرصيد الحضاري الذي يعتز به العراقيون حتى اليوم، وشاهدا على مرحلة آمنت بأن نهضة الأمم تبدأ ببناء العقل، وصيانة الذاكرة، واحترام التراث.
وعندما نكتب تاريخ أمة، فإننا لا نكتفي بسرد الأحداث السياسية والتحولات الرسمية، لأن حياة الشعوب لا تختصر في القرارات والأنظمة وحدها، بل تظهر حقيقتها في ما تنتجه من فكر وفن وأدب. فالثقافة هي الذاكرة العميقة للمجتمع، وهي المساحة التي يعبر فيها الإنسان عن أحلامه ومخاوفه وأسئلته الكبرى. ومن خلالها نستطيع أن نقرأ روح العصر، وأن نفهم كيف كان الناس ينظرون إلى أنفسهم وإلى العالم من حولهم.
لقد كان العراق عبر تاريخه الطويل مهداً للحضارات والإبداع. فمن هذه الأرض انطلقت الكتابة الأولى، ونشأت تقاليد أدبية وفنية تركت أثرا في تاريخ الإنسانية. ولم ينقطع هذا الحضور، بل ظهر في أشكال جديدة عبر الصحافة والتعليم والمسرح والسينما والفنون التشكيلية والموسيقى في عهد الجمهورية العراقية الأولى، وأحدث تفاعلا بين إرث حضاري عميق ومتطلبات العصر الحديث ضمن هذه المسيرة بوصفها مرحلة ذات أهمية خاصة؛ ليس فقط بسبب ظروفها التاريخية، بل بسبب ما شهدته من نشاط ثقافي وفني، وظهور أسماء أصبحت لاحقًا علامات بارزة في تاريخ العراق والعالم العربي.
من هنا نتبين أن الثقافة ليست ترفا، وأن الكلمة والصورة والموسيقى يمكن أن تصنع ذاكرة وطن.